كارولين دوتلينـگير*: تأثير التأمين على فرانز كافكا

ترجمة: مصباح كمال**

تقديم: ملاحظة قصيرة على ما يجمع بين الاقتصاد والتأمين

قبل عدة سنوات أصدرت كتابًا إلكترونيًا بعنوان "ما بين الأدب والتأمين" ضمّ إعداد وترجمة وتحرير مجموعة من الدراسات من بينها واحدة حملت عنوان "من مكتب فرانز كافكا" كتبه الخبير الاكتواري دانيال سكواير.[1] وفيما يأتي ترجمة المقالة الحالية كإضافة لهذا الكتاب.

قد يبدو نشر هذه المقالة غريبًا في موقع اقتصادي، وهو كذلك لمعظم الاقتصاديين المستغرقين في البحث عن أوضاع الاقتصادات وأزماتها، لكن تاريخ الفكر والأدب يشهد حضورًا للاقتصاد، ومنه التأمين، في الكتابات الأدبية. نقرأ في إعلان لناشر عن كتاب أكاديمي يبحث في العلاقة بين الاقتصاد والأدب الآتي:

منذ العصور الوسطى، صوَّر الأدب العالم الاقتصادي في الشعر والدراما والقصص والروايات. إن تعقيد الحقائق الإنسانية يُسلّط الضوء على الجوانب الحاسمة في الاقتصاد. وتُعدّ العلاقة التي تربط الشخصيات ببيئتها الاقتصادية أمرًا أساسيًا في جنس جديد، وهو "الرواية الاقتصادية"، التي تطرح خيارات وأحداثًا اقتصادية لسرد السلوك الاجتماعي، والرغبات الفردية، وحتى القرارات غير الاقتصادية. بالنسبة للعديد من المؤلفين، يوفر السرد الأدبي أيضًا وسيلة للتعبير عن وجهات النظر النقدية حول التنمية الاقتصادية، على سبيل المثال فيما يتعلق بتداعياتها البيئية أو الاجتماعية.

إن تضارب المصالح الاقتصادية له أسباب وعواقب اجتماعية وسياسية وأخلاقية. يوضّح هذا الكتاب كيف تتعامل النصوص الاقتصادية والأدبية مع مواضيع مماثلة، ويستكشف الطرق التي تشكل بها الأفكار والاستعارات الاقتصادية النصوص الأدبية، مع التركيز على أوجه التشابه بين النظريات الاقتصادية والبنية السردية في الأدب والدراما. يشير هذا المجلد أيضًا إلى أن ربط الأدب والاقتصاد يمكن أن يساعدنا في إيجاد لغة مشتركة للتعبير عن وجهات نظر نقدية جديدة بشأن الأزمات والتغيير الاجتماعي.[2]

من يقرأ مسرحية آرثر ميللر موت بائع متجول[3] يكتشف النقد الكامن للحلم الأمريكي، لكن المسرحية هي أكثر من ذلك. فهي تشير من باب الإدانة كيف أن النظام الاقتصادي يسحق الإنسان العامل ويحبط أحلامه ويدفعه في النهاية إلى الانتحار لقناعته أن مبلغ التأمين على حياته يجعله ذا قيمة أكبر لعائلته وهو ميت، إذا تمكن من جعل انتحاره وكأنه وفاة بسبب حادث عرضي. فمبلغ التأمين سيوفر لأبنائه مصدرًا ماليًا لبدء أعمالهم.

تعتبر أموال التأمين بمثابة دافع البائع المتجول ويلي لومان، بطل المسرحية، للانتحار. إذ يعتقد لومان أن بوليصة التأمين على حياته تجعله أكثر قيمة لعائلته ميتًا منه حيًا. وهو يعتقد أنه إذا

---

[1] ما بين الأدب والتأمين، إعداد وترجمة وتحرير مصباح كمال (مكتبة التأمين العراقي، ٢٠١٧)، ص ٩٥-١١٠. يمكن للقارئ المهتم طلب نسخة من الكتاب بالكتابة إلى misbahkamal@btinternet.com

[2] *Economics and Literature: A Comparative and Interdisciplinary Approach*, Edited By Çinla Akdere, Christine Baron (Routledge, 2018). https://www.routledge.com/Economics-and-Literature-A-Comparative-and-Interdisciplinary-Approach/Akdere-Baron/p/book/9780367886202

[3] Arthur Miller, *Death of a Salesman*. Penguin Books, 1986. (1st Ed. 1949).

تمكن من جعل انتحاره يبدو وكأنه حادث، فإن تعويض أسرته بقيمة مبلغ التأمين سيوفر لأبنائه ما يكفي من المال لبدء أعمالهم التجارية الخاصة.

ربما يوفر لنا كارل ماركس خير مثال على علاقة مفكر اقتصادي وفيلسوف بالأدب، حتى أن أستاذًا أكاديميًا ألف كتابًا موسعًا عن ماركس والأدب العالمي.[4] ومعروفٌ عن ماركس أنه كان مولعًا ببلزاك إذ كان يعتبره خير من جسد الرأسمالية والبرجوازية في روايته، مثلما كان ضليعًا في الأدب الإغريقي القديم ومسرحيات شكسبير. وكتابه رأس المال يزخر بالاقتباسات والإشارات إلى المراجع الأدبية الكلاسيكية.

وقد كتبتُ في مقمة كتاب ما بين الأدب والتأمين عن "جاذبية مهنة التأمين" في محاولة للاقتراب من انجذاب البعض للعمل في مؤسسات التأمين، التي تُصنّف حتى اليوم على أنها مؤسسات مفتوحة لمن يرغب الدخول إليها، مع إشارة خاصة إلى شخصيات أدبية وفنية في العراق عملت في قطاع التأمين.

ربما ينهض أحد الاقتصاديين العراقيين للكتابة عن العلاقة بين أقرانهم والأدب والأدباء العراقيين.

مصباح كمال
تموز ٢٠٢٤

كان فرانز كافكا رجل تأمين، ولم يُعرف كأحد الأدباء العظماء إلا بعد وفاته، قبل ١٠٠ عام. في هذا المقتطف من كتابها، تستكشف الكاتبة كارولين دوتلينـــگير كيف قام بتغيير النظرة على المخاطر التي كان يواجهها في وظيفته اليومية تمامًا عندما كان يتخيل قصصه.

إحدى القضايا المثيرة للجدل في عالم التأمين ضد الحوادث حوالي عام ١٩٠٠ كانت دور الخطأ البشري. لقد أدى الإنتاج الصناعي إلى زيادة حادة في الحوادث الخطيرة، والمميتة في كثير من الأحيان، في أماكن العمل. وأنتجت الطبيعة المتسارعة والرتيبة للعمل الحديث الملل وعدم الانتباه، وهو مزيج قاتل في البيئات التي يمكن أن تؤدي فيها الأخطاء البسيطة إلى أضرار جسيمة. ولكن من الذي يجب أن يتحمل مسؤولية عواقب مثل هذه الحوادث؟ العامل أم صاحب العمل؟

يكشف تقرير تم تقديمه في المؤتمر الدولي للتأمين ضد حوادث العمال لعام ١٨٩٩ في باريس أن عدد الحوادث في أماكن العمل على أساس سنوي ظل ثابتًا بشكل مدهش. وخلص التقرير إلى أن "هذه الحوادث، حتى لو كانت ناجمة عن مجرد الصدفة، تبدو وكأنها حوادث تحكمها قوانين غامضة." هذه القوانين الغامضة هي قوانين الإحصاء، التي أدخلت إحساسًا بالقدرة على التنبؤ في عملية التحديث المحفوفة بالمخاطر.

لقد أعيد تصنيف حوادث مكان العمل في البداية باعتبارها خطرًا مهنيًا، ثم باعتبارها خطراً اجتماعيًا أكثر عمومية، وتم تغطية العمال بالتأمين ما داموا يتصرفون ضمن المعايير (الإحصائية). لكن هذا لا يمتد إلى جميع أشكال السلوك البشري. أحد الأسئلة التي أثارت قلق الخبراء القانونيين هو الفرق بين عدم الانتباه "العادي" والإهمال الشديد. ولتوضيح ذلك، قدَّم المحامي النمساوي غوستاف هانوسك Gustav Hanausek فئة جديدة: السلوك المتهور، حيث يسعى الأفراد عمدًا إلى البحث عن الخطر.

---

[4] S. S. Prawer, *Karl Marx and World Literature* (Oxford University Press, 1978).
وكان پراور (١٩٢٥-٢٠١٢) أستاذًا للأدب واللغة الألمانية في جامعة أوكسفورد.

كانت هذه المناقشات حول السلوك البشري ودوافعه النفسية الأساسية محورية في الدور الذي لعبه فرانز كافكا في مؤسسة التأمين ضد حوادث العمال Workers' Accident Insurance Institute في مملكة بوهيميا في براغ. وكانت إحدى مهام كافكا الرئيسية هي إدراج الشركات في واحدة من فئات الخطر المتعددة، وفقًا لمستوى خطر الحوادث التي يواجهها المستخدمون. وفي ترديد لتقرير باريس، يركّز كافكا ليس على المسؤولية الشخصية للعمال، بل على المخاطر التي تفرضها بيئة العمل.

كانت المناقشات حول السلوك البشري محورية في دور كافكا التأميني

Debates about human behaviour were central to Kafka's insurance role

لكن صورة مختلفة تمامًا تظهر في رواياته. فهنا، يتم وضع الأخطاء البشرية في مركز الصدارة، باعتبارها القوة الدافعة للسرد، حيث يمكن أن تؤدي الأخطاء البسيطة إلى عواقب كارثية. ونادرًا ما تكون نقاط التحول في حبكة رواياته ناجمة عن أحداث خارجية وحدها؛ إنها نتيجة لسلوك الشخصيات، وبشكل أكثر تحديدًا، عدم الاستقرار الجوهري للانتباه البشري.

"الصياد گراتشس" 'The Hunter Gracchus'

أحد أكثر الشخصيات غموضًا في عالم كافكا الأدبي هو الصياد الأسطوري في القصة القصيرة الصياد گراتشس [گراچَس]. فيها، يروي الصياد قصته، التي تتخللها لحظتان حاسمتان وكارثيتان من عدم الانتباه. الأول يتسبب في موته: "طاردت عنزة جبلية، فسقطتُ. كل شيء سار بالترتيب الصحيح. لقد طاردتُ، وسقطتُ، ونزفتُ حتى الموت في وادٍ. إن نقطة التحول في القصة، عندما يتحول سعيه إلى سقوط، لا يتم تناولها على أنها مأساوية، بل يتم تقديمها على أنها تسلسل مألوف يمكن التنبؤ به للأحداث. ما تم وصفه هنا بلهجة واقعية هو حادث في مكان العمل.

وبينما يروي الصياد سقوطه المميت، تشير لهجته المجردة إلى أنه استوعب المفهوم الحديث لحوادث مكان العمل على أنها يمكن التنبؤ بها إحصائيًا. وفي حين أنه لم يوضح الأسباب الكامنة وراء السقوط، فإن المحادثة التي أجراها مع عمدة المدينة تشير إلى أن الخطأ البشري كان السبب الأكثر ترجيحًا. وفي جدال يستحضر النموذج الحديث للخطر المهني، يرفض الصياد أي مسؤولية شخصية، مؤكدًا أنه كان يؤدي وظيفته فقط.

وبعد فترة قصيرة، يشير الصياد بإصبعه إلى العنزة التي كان يطاردها: "لو لم تغريني العنزة الجبلية - حسنًا، الآن تعلم - كنت سأحظى بحياة طويلة من الصيد، لكن الماعز الجبلي أغراني، فسقطت، وحطمت نفسي بالموت على الصخور." هنا، تتغير القصة من سلسلة أحداث غير شخصية إلى لقاء بين طرفين، لكل منهما نواياه ورغباته. لم تعد الماعز مجرد فريسة، بل أصبحت إغراءً. هذا التفسير البديل، ذو الطابع الشخصي الأكثر للحادث، يمهد الطريق لنقطة التحول الثانية في القصة: حادثة تقع بعد وفاة الصياد.

يتصالح الصياد مع الموت، لأنه الآن سيتم نقله بالقارب إلى الحياة الآخرة. ولكن أثناء الرحلة تم ارتكاب خطأ آخر، هذه المرة من قبل قائد الدفة. يقول الصياد: "دوران زائف للعجلة، لحظة غفلة من قائد الدفة، نزهة في... وطني الجميل، لا أعرف ما هو، كل ما أعرفه هو أنني بقيت على الأرض، ومنذ ذلك الحين أبحرت سفينتي في المياه الأرضية.

ومع ذلك، فمن خلال عدسة خطاب التأمين من الحوادث المعاصر، فإن هذين الحادثين مختلفان تمامًا. وفي حين يمكن ربط سقوط الصياد بالنمط الإحصائي للخطأ البشري الذي يتبعه الموت العرضي، فإن تشتيت انتباه قائد الدفة يقع خارج حدود القدرة على التنبؤ، لأنه يحدث في المساحة الحدية للقدرة على التنبؤ، لأنه يحدث في الفضاء الحدي الذي لا يمكن التنبؤ به تمامًا بين الحياة والموت.

إن الموت، باعتباره النتيجة النهائية الوحيدة لأي حياة، يتم تقويضه هنا بشكل هزلي من قبل كافكا. ومن الواضح أن القصة في هذه المرحلة تكرر مفهوم المسؤولية الشخصية. عندما يسأل العمدة من هو المسؤول عن مصيره الرهيب، يجيب الصياد بشكل لا لبس فيه: "ربان القارب." النموذج الديني للخلاص، للحياة بعد الموت، باعتباره "التأمين" النهائي ضد الموت، يصبح لاغياً وباطلاً عند هذه النقطة. عندما يتبين أن المرشد الذي من المفترض أن ينقل الصياد إلى هذه الوجهة النهائية غير موثوق به ومُعرّض للخطأ في مجال "حيث لم يعد من الممكن تصحيح الأخطاء البشرية." بمجرد أن ينحرف الصياد عن المسار، يصبح محكومًا عليه بالإبحار في المحيطات إلى الأبد.

"الطرق على بوابة الفناء" 'The Knock at the Courtyard Gate"

الفكرة الأساسية المتمثلة في الزلات الطفيفة ذات العواقب الكبرى هي الفكرة التي يستخدمها كافكا في العديد من الروايات. أحد الأمثلة المثيرة للقلق هو القصة غير المكتملة "الطرق على بوابة الفناء"، المكتوبة في عام ١٩١٧. تبدأ القصة بالراوي وشقيقته وهما يسيران في ممر ريفي: "في طريقي إلى المنزل مع أختي مررت ببوابة الفناء. لا أعرف ما إذا كانت قد طَرَقتْ عليه بسبب العَفرَتَة أو الشرود، أو ما إذا كانت هزّت قبضتها عليه ولم تطرق على الإطلاق."

كما في الصياد گراچس، يقع الحدث الرئيسي في الطريق إلى مكان ما؛ في هذه الحالة الانتقالية، تكون شخصيات كافكا عُرضة لتشتيت القوى. عندما يصل الأخ والأخت إلى القرية، يبدو أن القرويين على علم بالفعل بما فعلته الأخت، لأنهم يخرجون من منازلهم "ودودين، ولكن بحذر، وهم أنفسهم مرعوبون، ومنغمسون في رعبهم." يشرحون لهما أن التحقيق سيبدأ على الفور.

يقول الراوي: "كنت هادئًا جدًا، وهدأت أختي أيضًا. ربما لم تكن هي التي وجَّهت الضربة على الإطلاق، وإذا كانت قد فعلت ذلك، فلن يكون هناك أي مكان على وجه الأرض يمكن أن تعقد فيه محاكمة على هذا الأساس. وحاولت أن أجعل الناس من حولنا يفهمون هذا أيضًا؛ لقد استمعوا لي، لكنهم امتنعوا عن [إصدار] حكمهم. وفي وقت لاحق قالوا إنه ليس أختي فقط، بل أنا أيضًا، بوصفي شقيقها، سيتم توجيه التهم إليّ." يتم إرسال الفرسان المسلحين من القصر على الفور تقريبًا برفقة قاض ومساعد. يرسل الراوي أخته بعيدًا ويطلب منها تغيير ملابسها. يتم نقله إلى غرفة هي عبارة عن سجن وجزء منها غرفة استجواب. هذا هو المكان الذي تنقطع فيه القصة، غير مكتملة. إنه يترك إحساسًا طويلًا بعدم الارتياح، وإحساسًا بأن هذه المحاكمة، بمجرد أن تبدأ، سوف تتكشف بجدارة لا ترحم. وكما قال القاضي بشكل مشؤوم: "أشعر بالأسف تجاه هذا الرجل."

قصة كافكا محيرة من عدة جوانب. إن رد السلطات الصارم على تصرفات الأخت التي تبدو غير ضارّة ليس سوى جزء واحد من هذا. كما أن الأسباب وراء هذا الحادث غير واضحة. في وصف تصرفات أخته، يقدّم الراوي ما لا يقل عن ثلاثة تفسيرات مختلفة: عفرتة، أو شرود الذهن، أو هز قبضتها وعدم طرق الباب على الإطلاق. ومن الأمثلة الكلاسيكية على الخطأ البشري، يقع شرود الذهن بشكل مباشر ضمن المجال القابل للتأمين، في حين تكمن العفرتة وراءه في عالم التجاوزات المتعمدة، وربما الكيدية malicious. ويبدو أن سلطات الادعاء تتبع هذا التفسير في الحكاية. الخيار الثالث الذي طرحه الراوي ليس في الواقع سيناريو منفصلاً، على الرغم من أنه يثير تساؤلات حول الأساس المنطقي لهذه "المحاكمة." هل الجريمة المعاقب عليها هي الفعل نفسه أم العقلية التي تقف وراءه؟ وفقًا لهذا التفسير، فإن الطرق بسبب شرود الذهن، وليس الطرق المتعمد، قد يكون أكثر تعديًا، ويكشف عن تحدي عرضي.

وفي الوقت الذي ألغى فيه قانون التأمين مبدأ المسؤولية الشخصية في جميع حالات التهور باستثناء أقصى حالات الاستهتار الأكثر تطرفًا، فإن رواية كافكا تعيد ترسيخ هذا المبدأ في روايات

مثيرة للقلق حيث تؤدي أصغر الأخطاء إلى أخطر العواقب. وفي الوقت نفسه، نادراً ما تكون المسؤولية في هذا الكون واضحة المعالم، لأسباب ليس أقلها أن الدافع وراء مثل هذه الأخطاء يظل غامضًا في نهاية المطاف. في الروايات التي تذكرنا بكتاب سيغموند فرويد علم النفس المرضي للحياة اليومية (١٩٠١)، يوضح كافكا أن انتباه الإنسان غير مستقر إلى حد كبير وغير قادر على منع الزلّات بمختلف أنواعها، والتي تظهر فيها الدوافع اللاواعية والمبهمة في نهاية المطاف في المقدمة.■

حقائق عن فرانز

ولد فرانز كافكا يهوديًا عام ١٨٨٣ في براغ، في الإمبراطورية النمساوية المجرية، وتخرج في القانون وعمل في التأمين من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩٢٢.

أمضى عامًا في فرع براغ لشركة التأمين الإيطالية Assicurazioni Generali ثم ١٤ عامًا في مؤسسة التأمين ضد حوادث العمال المملوكة جزئيًا للدولة في مملكة بوهيميا.

كان يكتب الأدب بشكل خاص في أوقات فراغه — وقد نشر معظمه بعد وفاته من قبل صديق مقرب، والذي تجاهل رغبة كافكا في حرق النصوص.

ومن أشهر أعماله رواية "المسخ" وروايتي "المحاكمة" و"القلعة". المواقف اللامعقولة التي غالبًا ما تم تصويرها في كتاباته أدت إلى ظهور مصطلح "كافكاوي".

محرر مجلة الاكتواري

* كارولين دوتلينگر، أستاذة الأدب والثقافة الألمانية في كلية وادهام، جامعة أكسفورد
Carolin Duttlinger is a professor of German literature and culture at Wadham College, University of Oxford

** مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمقال بالنقر على هذا الرابط: Metamorphosis – the influence of insurance on Franz Kafka | The Actuary

مقتطف محرر مأخوذ من كتاب *Attention and Distraction in Modern German Literature, Thought, and Culture* بقلم كارولين دوتلينگير (مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٢٢)

نشر المقال بتاريخ ١٨ تموز ٢٠٢٤

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
http://iraqieconomists.net/ar/